المجلد: 18 العدد: 02/مارس2023
ص: 583 - 596
ISSN: 1112-7015
EISSN: 2602-5973

التكامل المعرفي بين النقد الثّقافي والسّرد الثّقافي في السّرديات ما بعد الكولونيالية -القضايا النّظرية والممارسات التّطبيقية-

COGNITIVE INTEGRATION BETWEEN CULTURAL CRITICISM AND CULTURAL NARRATIVE IN POSTCOLONIAL NARRATIVES -THEORETICAL ISSUES AND PRACTICAL PRACTICES -

هجيرة بوسكّين *[1]،

[1] جامعة يحيى فارس المدية، (الجزائر) ،

البريد المهني bousekkine.hadjira@univ-medea.dz

تاريخ الإرسال: 2022/09/25	تاريخ القبول:2022/12/27	تاريخ النشر: 2023/03/28

****

ملخص:

ساهم الواقع ما بعد الكولونيالي العالمي الذي امتزجت فيه الثّقافات والهويّات في ظهور نوع جديد من السّرديات البديلة التي انفتحت على النّقد الثّقافي والدّراسات الثّقافية، فظهرت بذلك سرديّات ثقافيّة ما بعد كولونيالية تتبنّى "ثقافة الاختلاف" واستراتيجيّات "الخطاب المضاد" باعتباره شكلا من أشكال الردّ بالكتابة على ثقافة التّمركز وخطاب الهيمنة، وهو ما أثرى قيمة السّرد بتوظيف مرجعيّات ثقافية مرتبطة بجوانب من نظرية الهويّة وأشكال من المقاومة الثّقافية.

وعليه يحاول هذا المقال إبراز أهم تجلّيات التّكامل المعرفي بين النّقد الثّقافي والسرد الثّقافي في السّرديات ما بعد الكولونيالية من حيث الأصول والقضايا المعرفية النظرية والممارسات النصّية التطبيقية

الكلمات المفتاحية: النقد الثّقافي; السّرد الثّقافي ; ما بعد الكولونياليّة ;التّكامل المعرفي; القضايا النّظرية; الممارسات التّطبيقيّة

***ABSTRACT* :**

The global post-colonial reality, contributed to the emergence of a new type of alternate narratives that opened up to cultural criticism and cultural studies, thus emerging post-colonial cultural narratives that adopt the “culture of difference” and “counter- narratives discourse” strategies as a form of responding in writing against the culture of concentration and the discourse of domination, which enriched the value of the narrative by employing cultural references linked to aspects of identity theory and forms of cultural resistance

Accordingly, this article attempts to highlight the most important manifestations of cognitive integration between cultural criticism and cultural narrative in post-colonial narratives

Keywords: *Cultural criticism; cultural narrative; post colonialism; cognitive integration; Theoretical issues; practical practices*

* د.هجيرة بوسكّين

المقال:

1. مقدمة:

ساهمت الدّعوات النّقدية والجهود المعرفية التي فتحتها الدّراسات الثّقافية والدّراسات ما بعد الكولونيالية مع جهود كل من **"إدوارد سعيد" (Edward Said) و"هومي بابا" (Homi Bhabha) "وغياتري سبيفاك" (Gayatri Spivak)** وغيرهم في ميلاد **سرد ثّقافي** ظهر كنتيجة توأمة معرفيّة بين السّرد والنّقد الثّقافي عموما، ذلك أنّ النقد الثقافي يتقاطع مع النّظرية ما بعد الكولونيالية، بحكم اهتمامه بالقضايا الثقافية الكبرى في ظل تمازج الثّقافات ومحاولة النظرية **"ما بعد الكولونيالية"** تحليل وتفكيك خطابات الإمبريالية الغربية عن طريق كتابات المقاومة الثّقافية.

تنتظم ما بعد الكولونيالية إذاً، باعتبارها نظرية سياسيّة وثقافية، في إطار النّقد الثّقافي ويسعى الخطاب السّردي ما بعد الكولونيالي إلى تحليل آثار التّجربة الكولونيالية على ثقافات الشّعوب المستعمرة متبنّيا قضايا واستراتيجيات النّقد الثّقافي في معالجة قضايا الاختلاف والتنوّع وهجنة الهويات والتّعدّدية الثقافية، وغيرها من القضايا النّظرية الثّقافية التي تشكّل المباحث الأساسية للسّرديّات الثّقافية ما بعد الكولونيالية، التي عملت من حيث الممارسة النّصية الرّوائية التّطبيقية على إرساء مشروع " السّرد المضاد " الذي ظهر كرد بالكتابة على الخطابات الكولونيالية المكرّسة لخطاب الهيمنة والتّسلّط، وذلك من خلال تفكيك مضمرات هذه الخطابات المتعالية الحاملة لأنساق ثقافيّة تمثيلية تقزّم وتحقّر ثقافات الشّعوب المستعمرة وغير الغربيّة عموما.

من هنا تهدف هذه الدّراسة إلى الكشف عن أهم تجلّيات التّكامل المعرفي بين السّرد الثّقافي والنّقد الثّقافي من خلال البحث في الأصول المعرفيّة والقضايا النظرية الثّقافية المشتركة بينهما، ومحاولة تحليل حضور هذه القضايا في السرديّات ما بعد الكولونيالية العربية، وذلك من خلال الإجابة عن الإشكالية الآتية: **فيم تتمثّل القضايا الثّقافية والأصول المعرفيّة التي تجسّد التّكامل المعرفي بين السّرد الثّقافي والنّقد الثّقافي على المستوى التّنظيري، وعلى مستوى الممارسة النّصية الرّوائية في السّرد ما بعد الكولونيالي ؟**

ننطلق في دراستنا هذه من الفرضّية الآتية: ظهر السّرد الثقافي باعتباره نوعا من السرديّات البديلة متزامنا مع تلك التّحولات الكبيرة التي شهدها الخطاب النقدي الغربي الذي توجّه إلى الاهتمام بتحليل أنماط الثّقافة و دراسة القضايا المهمّشة في النّصوص الإبداعيّة والكشف عن المسكوت عنه، وتفكيك الأنساق الثّقافية المضمرة معتمدا على القراءة الثّقافية للنّصوص التي تبتعد عن الإفراط في الاهتمام بجمالية النصوص الأدبية كما فعل النقد الأدبي من قبل، من هنا وجد السّرد الثقافي في النقد الثقافي المنهج النقدي الذي يكمّله معرفيّا، والبديل النّقدي الملائم لتحليل ومناقشة ما تحفل به النّصوص السّرديّة الثقافية من مرجعيّات وحمولات ثقافيّة .

من ناحية أخرى، اتّجه الكتّاب عالميّا في مرحلة ما بعد الاستعمار إلى إسماع أصواتهم والتّعبير عن هويّاتهم والخروج من حالة الصّمت التي فرضها الاستعمار، فوجدوا في السّرد الثّقافي ضالّتهم، فظهرت بذلك الرّواية ما بعد الكولونياليّة حاملة لمشروع سرد ثقافي مضادّ عبّر عمّا أسفر عنه الواقع ما بعد الكولونيالي العالمي من قضايا هي نتيجة التمازج الثقافي والعولمة الثّقافيّة، مثل هجنة الهويّات، والتعدّدية الثّقافيّة والهجرة والمنفى والشّتات وصراع الأقلّيات من خلال اعتماد أسلوب الردّ بالكتابة على ما حمله الخطاب الكولونيالي من تسلّط وهيمنة وتقزيم

للشّعوب المستعمرَة، وهنا تظهر العلاقة التكامليّة بين السّرد ما بعد الكولونيالي والسّرد الثّقافي وبين هذا الأخير والنّقد الثّقافي.

2. النّقد الثّقافي والسّرد الثّقافي: بحث في حدود الشّراكة المعرفيّة

لقد أدّى ميلاد السّرد الثّقافي إلى بروز نقلة نوعية وتحوّل مهم في آليات الخطاب النّقدي اليوم، إذ لم يعد الخطاب النّقدي مجرّد خطاب نسقي يتعالى على شروط التّاريخ وسياسات الرّاهن، بل هو بحكم وظيفته النّقدية بالمعنى الجدلي في النّظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، خطاب اجتماعي يقوم بإنتاج معرفة اجتماعية تنخرط في أسئلة المجتمع الشّائكة بفكر نقدي متحرّر من أشكال السّلطة والهيمنة، بحيث يقتحم المناطق الخطرة للنقد الثّقافي وما بعد الكولونيالي، فيعيد كتابة التّاريخ من منظور نقدي يكشف المسكوت عنه في الذّاكرة، ويستنطق سياسات التّمثيل في صراع القوة والصّور، وفي تفكيك وتحليل الهويّات الهجينة، والتّحليل الدقيق لكشف سلطة الأنساق. ولعلّ هذا ما جعل الخطابات السّردية في مرحلة ما بعد الكولونيالية اليوم تتوسّل النّقد الثّقافي في محاولتها البحث عن روح جديدة وآليات نقدية حديثة تمكّنها من استنطاق نصوص سردية ثقافية أصبحت تستعصي على النّقد بتصوّراته وآلياته ومرجعياته القديمة. كلّ ذلك دعا إلى ضرورة النّظر إلى الدّراسات النّقدية اليوم برؤية حداثية جديدة تتماشى مع مستجدات العصر.

1.2.الأصول المعرفيّة النظريّة المشتركة:

ظهرت في سياق إعادة قراءة الأسس المركزية للبنيوية وتفكيكها، نماذج جديدة تختلف عن الشّعرية، مجاوزة لأفقها البنيوي تستلزم مراجعة وإعادة النظر في الخلفيّات المعرفية المؤسّسة للنّظرية السّردية. ففي مقابل اتساع طبيعة السّرد التعبيرية والثقافية والرّمزية، اختزلت السّرديات طبيعة السّرد في بنيته الشّكلانية، ومن جهة أخرى، وبسبب ارتهانها إلى النموذج البنيوي، انتهت السّرديات إلى تقليص دينامية النص في المستوى اللّغوي، بحيث تختزل هويّة السّرد إلى مجرّد وحدات لسانية وجمل نحوية تخضع للوصف اللساني، وبذلك ستضحي بمرجعيات السّرد الدلالية والرّمزية والثّقافية والتّأويلية.

هذه الممارسة الاختزالية المحايثة لواقع السّرديات، دفعت بالنظرية الثّقافية إلى البحث عن آفاق جديدة تتجاوز المستوى اللّساني البنيوي لمفهوم السّرد، ذلك أن السّرد ليس مجرّد صيغ للتّلفظ « إنه يمثّل خطاب الذّات إلى العالم، يقوم بوظيفة الوساطة الرمزية، بمعنى أنه كفعل رمزي يتوسّط التّجربة الزّمانية الإنسانيـة ».[1]

لا يمثل السّرد إذاً مجرد خاصية نصية مكوّنة للخطاب الأدبي، بل يمكن اعتباره الشّرط الضّروري والحتمي للّغة والمعنى والمعرفة، معرفة الذّات والعالم. إن هذه الطّبيعة الكلية للسّرد تستدعي تقديم تصوّر معرفي يدرج السّرد ضمن أنساق الثّقافة والمتخيل والتّاريخ، ويكشف ترابطاته الجدلية ببنيات القّوة والسّلطة، وهو ما تمكّن **النقد الثّقافي** من تحقيقه من خلال أدواته الإجرائية القائمة على تفكيك الأنساق الثقافية المضمرة وانفتاحه على المرجعيات الثّقافية والتّاريخية والمعرفية المختلفة.

إنّ الاهتمام المفرط للنّقد الأدبي بجماليّة النّصوص الأدبيّة بعيدا عن تحليل حمولاتها الثّقافيّة جعل الباحث الأمريكي **"فنسنت ليتش" (Vincent.B.Leitch)**، الذي يعدّ أوّل من استخدم مصطلح النّقد الثّقافي، يدعو إلى نقدٍ ثقافيّ ما بعد بنيويّ مهمته تمكين النّقد المعاصر من الخروج من نفق الشّكلانية، والدّخول في أوجه الثّقافة، ولا سيما تلك التي يهملها عادة النقد الأدبيّ.

وباستحضار المرجعية الثّقافية، نرى أن السّرد أكثر من مجرّد مظهر لفظي للخطاب.إنه « تشكيل عالم متخيّل، تحاك ضمنه استراتجيات التّمثيل، وصور الذّات عن ماضيها وكينونتها

وتندغم فيه أهواء، وتحيّزات، وافتراضات تكتسب طبيعة البديهيات، ونزوعات وتكوينات عقائدية يصوغها الحاضر بتعقيداته بقدر ما يصوغها الماضي بمتجلياته وخفاياه.. كما يصوغها بقوة وفعالية خاصّتين، فهم الحاضر للماضي وأنهاج تأويله له» [2].

من هنا، فإنّ ما يحدّد طبيعة السّرد هو طبيعته غير اللّسانية، فهو من حيث الجينيالوجيا نظام **عبر تاريخي** يمتدّ أفقيّا في الماضي وفي كل الأشكال القديمة، في الأسطورة والخرافة والملحمة والمرويّات الشّعبية، وهو من حيث الأنثروبولوجيا نظام **عبر ثقافي** يمتدّ عموديا في كل الثّقافات والمجتمعات والجماعات.

هذا العمق الرّمزي الضّارب في جينيالوجيا المتخيَّل، هو ما يجعل السّرد أكثر من مجرّد لعبة لغوية. إنه تمثيل تجربة وبناء استراتيجيات بتوسّل وساطات استيطيقية .

من هذا المنطلق، ظهرت مقاربات دينامية جديدة تقارب السّرد في وظيفته غير اللّسانية، هي نتيجة انفتاح النّظرية السّردية على تحليل الخطاب وعلى الشّعريات الثّقافية والدّراسات النسوية **والنظرية ما بعد الكولونيالية**.

لقد أدّى انخراط رائد الشعرية **"تزيفيطان تودوروف"** في دراسة الأفق الثّقافي والتاريخي الجديد، بعد تعرّفه على أعمال الناقد الثّقافي" **إدوارد سعيد** "، إلى انتقال الاهتمام من القضايا اللّسانية للنّص إلى قضايا التّمثيل والغيريّة الثّقافية وصور الآخر، وقد كانت البداية مع كتاب" **فتح أمريكا**" الذي يعدّ عملا رئيسيا في مجال تحليل الخطاب، فقد تناول بشكل مباشر وظيفة وقوة الكتابة في الوضع الكولونيالي .

بهذا الوعي التّاريخي والثّقافي يقطع **"تودوروف"** المسافة بين جماليات السرد إلى سياسات التّمثيل وبناء الآخر، ومن الشّعرية، إلى تاريخ الأفكار والدّراسات الثّقافية والأونثروبولوجية، حيث يحلّل تصوّر الإسبان للهنود، في سياق ثقافي وتاريخي لا تغيب عنه الشعرية، ولكنها تحضر هنا بعيدا عن الأطر البنيوية ضمن سياق إنساني يجمع بين التّحليل الثّقافي والتّاريخ والتأويل.

توالت بعد ذلك الدّعوات النّقدية والمعرفية التي فتحتها **الدّراسات الثّقافية** والدّراسات **ما بعد الكولونيالية**. مع جهـود كل من **"إدوارد سعيد" و"هومي بابا" و" غياتري سبيفاك"** وغيرهم. ليصبح **السّرد الثّقافي** نتيجة توأمة معرفيّة بين السّرد والنّقد الثّقافي عموما، وذلك بالانتقال من سؤال **سياسات الهويّـة إلى سياسات الاختلاف** أي فتح الباب أمام جملـة من المباحث والقضايا التي يتشابك فيها السّرد مع تمثيلات السّلطة والقوّة والهيمنة والهويّة والآخر والعنف والجنوسة وغيرها...

تلك كانت بعض الأصول المعرفية المشتركة بين السّرد الثّقافي والنّقد الثقافي التي شكّلت البدايات الأولى لميلاد **سرد ثقافي** تهتم فيه القراءة الثّقافية بالحفر في البنى النسقية المضمرة للنّصوص الرّوائية وتفكيك سياسات التّمثيل بما يسمح بإبراز بؤر إنتاج المعنى وزحزحة مراكز إنتاج الصّور والتمثّلات، باستكشاف مضمراتها الثّقافية والإيديولوجية المبثوثة بشكل واعٍ أو غير واعٍ، حيث يتم استحضار الأدوات الإجرائية للنقد الثقافي من أجل فهم وتحليل سياقاتَ الهوية واشْتباكات المتخيّل والسّلطة في التأويل في النّصوص السّردية الثّقافية ما بعد الكولونياليّة.« إن اعتبار السردية نسقا تشييديا تبرّره في نظرنا الضّرورة المعرفيّة والاجتماعية، وتبرز في حاجة النّقد كخطاب فكري إلى إنتاج المعرفة وتشييد الوعي والمتخيّل الاجتماعي ونقده عبر الاشتغال على النصيّات والخطابات، وهو ما يفرض توسيع مفهوم السّردية لإنجاز دراسات مقارنة بين أنساق الفهم والتأويل في السّرد العربي، وبين ما يناظرها في الخطاب الفكري والفلسفي والإيديولوجي.» [3]

2.2 القضايا الثّقافية المشتركة:

إن المتتبّع لمسار التّحوّلات التي شهدها الخطاب السّردي ما بعد الكولونيالي، سيلاحظ وجود توجّه عام من قبل جيل من الرّوائيين الشّباب إلى تناول مواضيع وقضايا هي من صميم اهتمامات السّرد الثقافي، ترتكز على حقول معرفية مختلفة، وتوظّف فنونا وأجناسا أدبية تنصهر معا لتشكّل البنية النّصية والثّقافية لنصوص روائية تعدّ فضاءً مناسبا لظهور نوع جديد من الدّراسة النقدية، يسمح فيها **النّقد الثّقافي** بكشف حركة **النسق** بوصفه مضمراً يتحرك ضمن الخطاب على الضّد مع المعلن الواعي، وتكمن أهميّة البحث عن المضمر والمسكوت عنه في هذا النوع من الكتابات السّردية الثّقافية في كونه يساهم في إعطاء فكرة صحيحة عن الذّات والآخر من خلال البحث عن ما لا يقال بصورة علنية ضمن خطابات الآخر ويضمره لغايات إيديولوجيّة ثقافية ولكنّه في الوقت نفسه يشكل جزءاً مهماً من **هوّيته الثقافية**.

ومن جهة أخرى، فإن أهمية الدّراسة الثقافية لهذا النّمط من النّصوص الرّوائية ما بعد الكولونيالية ضمن **النّقد الثّقافي** تبرز من حقيقة أن الثّقافة تُعينُ على تشكيل وتنميط التّاريخ، وأفضل ما تفعله الدّراسات الثقافية هو وقوفُها على عمليات إنتاج الثّقافة وتوزيعها واستهلاكها، وهذا يستحضِرُ نظرية الهيمنة التي طرحها **غرامشي**، والتي يؤكِّدُ فيها أنّ السّيطرة لا تتمُ بسبب قوّة المسيطِر فحسب، ولكنها أيضاً تتمكّنُ مِنّا بسبب قدرتها على جعلنا نقبل بها ونسلّمُ بوجاهتها لذلك وسّعت الدراسات الثقافية المجال ليشمل عدة مواضيع توجه الرّوائيون العرب إلى تناولها وتحليلها مثل قضايا: العرق والجنس والجنوسة والتعصّب الدّيني والطائفي وصراع الأقليات.

ولعلّ من أهم القضايا الثّقافية المشتركة بين النقد الثّقافي والسّرد الثّقافي تناول المواضيع التى أفرزها الواقع ما بعد الكولونيالي مثل **هجنة الهويّات والتّعدّدية الثّقافية** وقضايا العرق والطبقة، وغيرها من المواضيع التي تعبّر عن مدى التداخل والتمازج بين الثّقافات في عالمنا المعاصر.

أخذت السّرديات الثّقافيّة ما بعد الكولونياليّة إذاً عن النّقد الثّقافي عدّة مفاهيم ومصطلحات مثل: **التّعدّديّة الثّقافيّة والهجنة والنّسق وحوار الثّقافات...**، وغيرها من المصطلحات التي تبنّاها النّقد الثّقافي بعد أن التفت إلى الثّقافات الهامشيّة والفئات الشّعبيّة والأقلّيات الاجتماعيّة والدّينيّة والمذهبيّة والإثنيّة، وتجاوز كلّ ما هو مؤسّساتي متحكّم ومهيمن سلطويّا وفكريّا. وفيما يأتي أهم القضايا الثقافية المشتركة بين النقد الثّقافي والسرد الثّقافي ما بعد الكولونيالي.

1.2.2 . التّعدّدية الثّقافية:

شكلت هذه القضية إشكالية كبيرة في النّقد الثقافي، فالعالم مبني على مزيج من الثقافات لا يمكن تفريقها، وبانتشار الوعي والرفض القاطع لكل أشكال الهيمنة والعنصرية « قامت ثورة حقيقية في جميع أنحاء العالم في العلاقات بين الدّول والأقليات العرقية، وبهذا قامت أفكار تنادي بإلغاء العنصرية والأفكار العرقية وتعزيز التّنوع الثقافي، وقبول الأقليات كما هي دون نبذها أو محاولة السّيطرة عليها، وتشجيع المنظمات الدّولية الدّول لتبني فكرة التّعددية الثقافية»[4]، من هنا انتشرت عالميا أفكار تحثّ على أهمية التكّيف مع الاختلاف والتنوع الثقافي وضرورة التّعايش.

جاء مفهوم التّعدّديّة الثّقافيّة في الغرب كردّ فعل على « المركزيّة الثّقافيّة ذات الوجاهة الرّاسخة من حيث هي ثقافة ذكوريّة غربيّة. وفي مواجهة هذه السّمات المهيمنة والمتجاهلة للآخر، تأتي التّعدّديّة الثّقافيّة لتطرح قضيّة الثّقافة بوصفها ذات تكوينات متعدّدة، كالنّسويّة والسّود والعناصر البشريّة الأخرى التي ليست بيضاء وليست ذكوريّة، ولم تكن في التّيار المؤسّساتي الرّسمي».[5] فالتّعدّديّة الثّقافية تعني العيش المشترك لفئات اجتماعيّة متعدّدة ولثقافات مختلفة على

المستوى الفردي والقومي، وكلّ منها له هويّته التي اكتسبها عبر التّاريخ حتّى صارت جزءًا من تكوينه وتاريخه ومنجزاته، بكلّ قيمها ورموزها ممّا يسِمها بهويّة ثقافيّة خاصّة بها، ولكن في إطار التّعدّديّة. ولا بدّ من وجود نوع من التّجانس وعدم طغيان ثقافة هويّة على الأخرى.

تناول **"إدوارد سعيد"** مفهوم التّعددية الثّقافية وكان من أوائل المعنيين بها، بحكم انتمائه المزدوج، فعبّر عن مفهوم ثقافة التّقاطع الذي أثاره الاتجاه السلافي في الأدب المقارن، ففي نظره عبّر مصطلح التّعددية الثّقافية عن الثّقافات والآداب، وخفّف من حدّة المركزية الغربية والهيمنة الفرنسية والأمريكية التي حاولت استلاب كلّ الثقافات « نحن اليوم أمام عالم آخر، هو عالم الإنسان المواطن العالمي وينبغي الانخراط ضمن ذلك العالم بصورة مباشرة، لنكون فاعلين في تشكيله ومشاركين في بلورته. إنّ زمننا زمن المشاركة العالميّة لكلّ كائن بشري فاعل، مهما كانت جنسيّته وانتماءاته.» [6]

2.2.2.الهجنة:

شكّلت الهجنة قضيّة ثقافية مشتركة وأساسية في النقد ثقافي والسّرد الثّقافي على حدّ سواء، فالانفتاح على الآخر والتمازج الثّقافي بين الشّرق والغرب، وظهور الصّراعات بينهما بسبب التجربة الاستعمارية أدّى إلى ظهور فكرة الهجانة، بمعنى أنّه لا وجود لهوية واحدة ساكنة وصلبة، فكل الهويات ليست ثابتة، فهي في حالة تحوّل مستمر، كما أنّها عبارة عن مزيج من الثّقافات والهويات المتداخلة مع بعضها البعض.

اهتمت الدّراسات ما بعد الكولونيالية، بمواضيع الهجانة معتبرة أنها تلك الطرائق التي تحدّت وقوّضت الفكر الكولونيالي المتطرّف الذي اعتبر الأعراق المختلفة أنواعا مختلفة، ورغم إصرار الإيديولوجيات الامبريالية على الاختلاف العرقي، إلاّ أنّها كانت تمارس هذه السّياسة التي اتبعها الاستعمار، حيث أن حاجته إلى تمدين الآخرين التّابعين له وتثبيتهم في الوقت نفسه في غيرية دائمة، أدّت به إلى تأييد التزاّوج بين المستوطنين والسّكان الأصليين رغم خشيته من الهجنة[7] ، وقد شكّلت هذه السّمة أساس السّرد ما بعد الكولونيالي الهادف إلى إلغاء الهوية القائمة على تهميش الآخر ونفيه.

تعتبر **"الهجنة"** إذاً، لعبة **الهويّات المركّبة** التي تواجه الخطاب الأصولي عبر النّهل من ثقافات متعدّدة. وهو ما يتيح إمكانية تجاوز "ماهوية " الهويّة نحو آفاق ثقافية رحبة أساسها التّفاعل المستمر. وما دامت الهجنة تمجّد التّلاقح والتّواصل، فإنّها بذلك تدحض علاقة الصّراع والفرقة والانقسام بين الأنا والآخر. ولأنّ الهوية ليست ثابتة وسكونيّة بل تخضع لمنطق التّحوّل والتّغيّر، فإنّ الهجنة بذلك هي مفهوم مناوئ لمفهوم الهويّة الصلبة التي تصنِّف نفسها نقيضا للآخر وتقيم الحواجز بين العوالم الثّقافية، خاصة أن « جميع الثقافات، جزئيا بسب (تجربة) الإمبراطورية، منشبكة إحداها في الأخريات، ليست بينها ثقافة منفردة نقية محضة، بل كلها مهجّنة مولّدة، متخالطة، متمايزة إلى درجة فائقة، وغير واحدية .» [8]

وعليه لا تخضع الهجنة لسلطة نسق واحد ولا تدين لقيم ثقافية ثابتة، فهي تداخل وتلاقح بين العوالم تنزاح فيه الهويّة عن كل ما يوصل إلى الصّدام، فقد غدت اليوم جميع الثّقافات متمازجة تعيش حالة من" التهجين"، فالعالم **ما بعد الكولونيالي** اليوم مكوّن من هويّات كثيرة تتفاعل بشكل منسجم حينا ومتنافر حينا آخر، إلاّ أنّها تبحث جميعها عن وجود إنساني مشترك لا يقوم على السّيطرة والإرغام، وجود مبني على التّواصل بين الشّمال والجنوب والشّرق والغرب، وهو ما يسمح بالانفلات من المنظور الإقصائي. من هنا تهدف الهجنة إلى تقويض نزعة التّمركز الثقافي حول الذّات والوطنية للعبور نحو التّلاقي بين الجغرافيات والثّقافات والقوميّات، لتأسيس أفق إنساني يتحرّر من وهم الانتماء المنغلق المعادي للحوار.

تُبقي حركيّة الهجنة الهويةَ متّسمة بطابع الانفتاح، قادرة على التجدّد لأنّ الهوية ليست بناءً جامدا، فهي تخضع للتّحول والتّغير والبناء المستمر والمتواصل دون انقطاع « من المفيد التّأكيد على عدم استقلالية المستعمر والمستعمَر عن بعضهما، فالهويّات من كلا الطرفين ليست مستقرة ومتألمة، وفي حالة تدفق مستمر. وهذا يوهن ادعاءات كل من المستعمرين والقوميين بوجود ذات موحدة » [9]

وعليه، تعتبر مسألة **"هجنة الهويات"** بمثابة محاولة جادّة لإلغاء الخلافات ودعوة للتّعايش وضرورة الاندماج في الهوية الإنسانية التي لا تقيّد بحدود، وهذا ما جعل هذا المفهوم يشكّل قضيّة ثقافيّة أساسيّة في السّرد الثّقافي ما بعد الكولونيالي الرافض لسياسات الهوية والصّراع القائم على الأصول والأعراق والانتماء الجغرافي.

3.2.2. سلطة النّسق الثّقافي:

انطلاقا من أنّ **النّقد الثقافي** هو البديل النّقدي الملائم الذي ينبغي أن يعتمده النّقاد في كشف وتشريح الخطابات الثّقافية في النّصوص السّرديّة الثّقافية ما بعد الكولونياليّة، واستنطاق وتحليل الأنساق المعرفية والثّقافية المضمرة فيها، يتحتّم على كلّ من يريد مساءلة هذا النوع من النّصوص السرديّة الثّقافية أن يعرف بداية كيف ينمو ويتكوّن ويتحرّك **النسق** داخل النّصوص السّردية والإبداعية بشكل عام.

يتحقق **النّسق** ضمن الخطاب السردي من خلال **جملة ثقافية** تكشف عنه، على أن تكون متحدّثة بلسانه، ونميّزُها عن الجملة النحويّة ذات القيمة التّداولية، وعن تلك الجملة ذات المعنى البلاغي، وعبر هذا التّمييز لا تكون الجملة الثقافية جملة نحويّة، بل قد تطول حتى لتصبح مقطعاً شعريًا أو سردياً، وقد تقصر حتىّ لتكون شبه جملة، وبما أنها تكشف النسق المضمر وتعبّرُ عنه فإنها لهذا ذات دلالة نسقيّة، لا تداوليّة ولا بلاغيّة.[10]

ترتبط الدّلالة النّسقية في علاقات متشابكة نشأت مع الزّمن لتكون عنصراً ثقافياً أخذ بالتّشكل التّدريجي إلى أن أصبح عنصراً فاعلاً ولكنّه، وبسبب نشوئِه التّدريجي، تمكّن من التّغلغل غير الملحوظ، وظلّ كامناً في أعماق الخطابات ينتقل مابين اللّغة والذهن البشري فاعلاً أفعاله من دون رقيب نقدي لانشغال النقدي بالجمالي أولاً، ثمّ لقدرة العناصر النسقية على الكمون والاختفاء [11]

***شروط تحقّق النّسق ضمن الخطاب:**

لابدّ من وجود نسقين ضمن الخطاب الواحد.

أ- يكون أحد النسقين نقيضاً للآخر ومضاداً له، على أن يظل النّسق الناقص مضمراً مختبئاً ويحتاجُ كشفه إلى الأخذ بمبدأ النّظر النّقدي.

ب- يشترط في النّص الحامل للنّسقين أن يكون مما تتوفر فيه سمات النص الأدبي الجمالية والإبداعيّة، من حيث إنّ جماليّة النّصوص هي الوسيلة التي تتوسل فيها الثقافة لتمرير أنساقِها المضمرة.

ج- لابدّ أن يكون النّص ذا جماهريّة وشيوع، وهذا سيكون دليلاً على تمكّن النسق من التغلغل في جموع مستهلكي الثقافة.[12]

وعليه، لا تُقرأ النّصوص السّردية الثّقافيّة الحاملة للأنساق لذاتها أو لجماليتها وإنّما يتوسَّلُ النّاقد والمحلِّلُ بالنّص ليكشف حيَلَ الثّقافة عبره في تمرير أنساقها، وليس ثمّة نوع روائي أكثر تمثلاً للأنساق المضمرة من تلك الرّوايات الحضارية ما بعد الكولونياليّة القائمة أساساً على جدل **الأنا والآخر** لمقابلتها بين حضارتين وثقافتين مختلفتين ومتعارضتين، وهنا يصبِحُ سؤال النّسق في هذا النّوع من الرّوايات بديلاً عن سؤال النّص في كثير من الأحيان، وتصير مهمة النّقد الثقافي في

تشريحه لهذه النّصوص السّرديّة الثّقافية سؤال المضمر والمسكوت عنه بدل سؤال الدّال والظاهر من الخطاب.

يفرض النّسق الثّقافي إذاً سلطته على الخطاب السّردي في النّصوص السّردية الثقافيّة باعتباره كيانا ضاغطاً على النّص ومفهوماً مركزياً في مشروع **النقد الثّقافي** الذي يسعى إلى كشف الأنساق المضمرة وتحديد وظيفتها وسماتها الاصطلاحية وقيمها الدّلالية التي نجملها فيما يأتي:

1-يتحدّد النّسق عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرّد، والوظيفة النّسقية لا تحدثُ إلاّ في وضع محدّد ومقيّد قائم على التناقض.

2- قراءة النّصوص تكون من وجهة نظر النّقد الثقافي أي أنها حالة ثقافية.

3- النّسق من حيث هو دلالة مضمرة، فإن هذه الدّلالة ليست مصنوعة من مؤلّف، ولكنها منكتبة ومنغرسة في الخطاب.

4- النّسق ذو طبيعة سرديّة، يتحرّك في حبكة متقنة، خفيّا ومضمرا وقادِرا على الاختفاء ويستخدم أقنعة كثيرة (الجمالية).

5- الأنساق الثقافية أنساقٌ تاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائماً.

6- هناك نوع من الجبروت الرمزي ذي طبيعة مجازية كليّة/جماعية، أي أنّه توجد تورية ثقافية تشكل المضمر الجمعي، ويقوم الجبروت الرّمزي بدور المحرّك الفاعل في الذّهن الثّقافي للأمة.[13]

وإذا أردنا أن نبحث عن أهم الأنساق المضمرة في خطابات الآخر الغربي في النّصوص السّرديّة الثّقافيّة ما بعد الكولونياليّة، نجدها لا تخرج عن نسق عامٍ كبير تتفرع عنه عدة أنساق جزئية هو دلالات الهيمنة التي يحملها الخطاب الإستشراقي الاستعماري الذي يهدف إلى جعل الإنسان الشّرقي/العربي يصدِّق تخلفه في مقابل تفوّق وتحضر الإنسان الغربي/الرجل الأبيض. هذه المعاني والدّلالات يسعى الخطاب السّردي العربي ما بعد الكولونيالي إلى كشفها وتقويضها والرّد عليها **بخطاب مضاد** يحمل أشكالا مختلفة من **المقاومة الثّقافيّة** لكلّ أشكال الهيمنة والتسلّط والتمركز الغربي.

وضمن هذا النّسق السّلطوي الثّقافي العام والكبير يظهر نسق ناقض لهذا النّسق العام يختبئُ في تصريحات **الآخر** ضمن الخطاب الرّوائي مثل عبارات الانبهار الغربي بسحر الشّرق وحضارته وأخلاق أهله، إلاّ أنّ هذا الانبهار يبقى مضمراً لأنه يناقض النّسق الثقافي العام الصادر عن جهود المؤسّسات الاستشراقية والفكر الاستشراقي الكولونيالي بشكل عام الذي استمر لسنوات ليست بقليلة.

3- الممارسات التّطبيقية المشتركة بين السّرد الثقافي والنقد الثّقافي على مستوى الخطاب السّردي ما بعد الكولونيالي

لقد حاول الخطاب السّردي العربي الذي استظل بالنّظرية ما بعد الكولونيالية، تعريّة الخطاب الاستعماري الغربي وحمولته الثقافية والإيديولوجية القائمة على فكر استشراقي مؤسساتي، واجتهد ليبتعد بالذات العربيّة عن استهلاك ما ينتجه "الآخر" من خطابات فكرية وثقافية تضمر مرامي الهيمنة والتّملك والاستلاب إزاء العالم العربي/الشّرقي، من خلال« صياغة نظم جديدة للسّرد لا تقف عند حدود المنجز الفني في الآداب الغربية والأوروبية، حيث التنميط ضمن عقلانية لبرالية إنسانوية، بل تتعدّاه لتنفتح على ما هو جوهري في عقل الأمة وضميرها وتاريخها وموروثها وفولكلورها، وعلى ما تختزنه من قوى روحية عميقة» [14]

ومن أجل الوصول إلى هذه الخصوصيّة التي تتحدّى ثقافة المركز الغربية وتهتم بإبراز الفكر الهامشي المصغّر والمسكوت عنه في ثقافة المركز، سعت النّصوص السّردية الثّقافيّة العربية ما

بعد الكولونياليّة، رغبة منها في كسر هيمنة النّسق الثّقافي الغربي، إلى الرّد بالكتابة على الخطاب الكولونيالى الغربي والاحتجاج ضدَّ البُنى والخطابات الثّقافية والإيديولوجية والسّياسية "للآخر" الضاغطة على حريّة الأنا في المجتمع العربي المعاصر، وتجاوز فكرة قابلية الأنا العربي/الشّرقي للهيمنة.

1.3 "السّرد المضاد" وإستراتيجيّة الرّد بالكتابة في السّرديّات الثّقافية ما بعد الكولونيالية

إنّ ما شهده العالم في المرحلة ما بعد الكولونيالية من تحوّلات تاريخيّة ومعرفيّة وثقافيّة جعل الرّواية ما بعد الكولونيالية تعمل على صياغة خطاب سردي جديد يطوّر استراتيجيّات مضادّة في الكتابة تفكّك الصّور النّمطيّة المتحيّزة لإيديولوجيا المركزيّة الغربيّة، منطلقة من الوعي بأهميّة امتلاك سلطة الكلمة والصّوت في تمثيل الذّات « لقد فرض اليوم كتّاب وباحثون من العالم الذي كان خاضعا للاستعمار تواريخهم المتباينة على النّصوص المكنونة العظيمة لثقافة المركز، وقاموا برسم جغرافيتهم المحلّية، ومن هذه التفاعلات المتقاطعة لكن المتعارضة مع ذلك، تبدأ القراءات والمعارف الجديدة في الظهور.» [15]

تجلّت هذه القراءات والمعارف الجديدة للشّعوب المتحرّرة من الاستعمار على المستوي النّقدي في بروز مشروع **"السّرد المضاد"** الذي تحقّق على مستوى الممارسة النّصية الإبداعيّة الرّوائيّة بتبنّي إستراتيجيّة مزدوجة، تنهض على توظيف أسلوب **"الرّد بالكتابة"** الذي يستخدم **"الخطاب النّقيض".**

ظهر السّرد المضاد إذاً كرد فعل على السّرد الإمبراطوري الكولونيالي الذي سعى إلى امتلاك سلطة الخطاب، وقد تمكّن الكتّاب بفضل هذه السّرديّات المضادّة من التّكلّم وإسماع أصواتهم، وسرد هويّاتهم واستعادة ذاكرتهم المسلوبة، والتّحرّر من الصّمت الذي فرضه السرد الكولونيالي على الشّعوب الخاضعة للاستعمار.

شكّل أسلوب الرّد بالكتابة شكلا من أشكال المقاومة الثّقافيّة في الرّوايات ما بعد الكولونياليّة التي انفتحت على القضايا الثّقافيّة المهمّشة، فجاءت حافلة بالمرجعيّات الثقافية التي جعلت منها نصوصا سرديّة ثقافيّة مرتبطة « بجوانب من نظريّة الهويّة والاختلاف، واستدماج الذّات إيديولوجيّا بالخطاب السّائد، وكذلك تقديم استراتيجيّات مقاومة متنوّعة لمثل هذه السّيطرة ..[16]»

2.3 الرؤية الثّقافية في السّرديات ما بعد الكولونيالية: خصائصها ومواضيعها

سعت البلدان المستقلة من الاستعمار إلى بلورة سرديات بديلة خاصّة بها تختلف عن تلك السّرديات التّقليدية التي تجسّد الثّقافة الإمبريالية، وحاولت إيجاد سرديات مقاومة ومعارضة لذلك الفكر الكولونيالي، ولعلّ أهمّ الخصائص التي تميّز هذه السّرديات الثّقافية البديلة ما يأتي:

- لا يلغي السّرد الثقافي الخاصية الجمالية للسّرد، ولا يفصلها عن سياقاتها الثّقافية والرّمزية والأيديولوجية، فهو علامة دينامية يتمفصل وفق نظام ترميز مزدوج أدبي – ثقافي يعكس رهانات الإستراتيجية السّردية، حيث يستحضر سياقات الهوية والمتخيّل والتّاريخ وتجاذبات المعرفة والقوّة.

- يستخدم السّرد كإستراتيجية مضادّة لمواجهة استراتيجيات الهيمنة والمركزية في سياق الاشتباك الإبستيمولوجي بين المركز والهامش، بين السّيد والتّابع .[17]

ويمكن اعتبار بعض الروايات العربية في مرحلة ما بعد الاستعمار خير دليل على هذا الأمر سواء تلك التي تناهض المركزية الغربية كرواية : «موسم الهجرة إلى الشمال » **للطّيب صالح**، أو تلك التي تعرّي فشل السّلطة وتحوّلها لكبت الحرية كرواية « الكرنك» لـ : **نجيب محفوظ.**

- السّرد الثّقافي، كمفهوم، جاء ليقترح نفسه كمساعد للنقد الثّقافي في مساءلة الأعمال الرّوائية من أجل إنجاز دراسات مقارنة بين أنساق الفهم والتّأويل في السّرد العربي، وبين ما يناظرها في الخطاب الفكري والفلسفي والأيديولوجي. فقد أصبح المستعمَر السّابق الناطق بلغة الإمبراطورية، يوظف النّظرية الغربية ضدّ الغرب، وفق سياسات مختلفة ورهانات جديدة ويخضع هذه اللّغة لاستراتيجيات جديدة مضادة لتعديل وتغيير ما تم رفضه، فقد استفادت آداب ما بعد الكولونيالية من المفاهيم الكولونيالية، وقامت بتطويعها لفائدتها.

- أصّل السّرد الثّقافي لنوع جديد من المقاومة للهيمنة الكولونيالية، فمن خلال استيعابه للسّلطة المستثمرة في الكتابة، يمكن أن يمسك الخطاب السّردي ما بعد الكولونيالي بناصية التهميش المفروض عليه، ويجعل من التّهجين والتوفيقية مصدرا لإعادة التعريف الأدبي والثقافي ، ففي الهيمنة تتجلّى أساليب المقاومة وينتقل الخطاب إلى سرد مضادٍّ يعبّر عن روح المقاومة والرّفض، وهذا ما سعت إليه آداب ما بعد الكولونيالية وقامت بتجسيده على أرض الواقع.

بناءً على ما سبق، وفي خضم هذه التّحولات التي شهدها الخطاب النّقدي و الخطاب السّردي على حدّ سواء، ظهرت **الرّواية ما بعد الكولونيالية** لتبلور مفهوما خاصّا بها في مجال الكتابة الرّوائية، وتستحدث لنفسها مواضيع جديدة تتماشى مع قضايا الرّاهن الثّقافي والسّياسي والاجتماعي الجديد، حيث طوّرت استراتيجيات مضادّة في الكتابة، تفكّك الصّور النمطية المتحيّزة إيديولوجيا للمركزية الغربية، منطلقة من الوعي بأهمية امتلاك سلطة الكلمة والصّوت في تمثيل الذّات، وقد تحقّق ذلك على مستوى الخطاب السّردي بتبني إستراتيجية مزدوجة تنهض على استخدام أسلوب إعادة الكتابة الذي يوظف تقنيات الخطاب النقيض.

جاءت النّصوص الرّوائية ما بعد الكولونيالية حاملة **لرؤية ثقافيّة مغايرة** تجلّت من خلال المرجعيّات الثّقافية التي حفلت بها هذه النّصوص، ويمكن أن نجمل أهمّ المواضيع التي تناولتها هذه النّصوص السّردية الثقافية ما بعد الكولونيالية الصّادرة عن الشّعوب التي تحرّرت من الاستعمار في القضايا الآتية: قضيّة **المنفى والشّتات** وقضيّة **الهجرة** وقضيّة **هجنة الهويّات والتّعددية الثّقافية، و**قضايا **المسكوت عنه** باختلافها، وكلّها قضايا أرادت من خلالها هذه السرديّات المضادّة إعادة الاعتبار لكلّ ما هو مهمّش والنّظر إليه باعتباره ظاهرة ثقافيّة مميّزة، وفيما يأتي نحاول تسليط الضوء على بعض هذه القضايا التي تعكس الرّؤية الثّقافية في الرّواية ما بعد الكولونياليّة

1.2.3 روايات المنفى:

يرى **إدوارد سعيد** أن المنفي يقيم علاقة جدلية مع مفهوم الأمة التي تشغل موقعا مركزيًا في روايات الهجرة والشتات، ما ينتج عنه سياسة الاعتراف التي تؤثّر على إدراج المنفي في هوية قومية متماسكة، أو استبعاده منها.

ومن أمثلة روايات **"المنفى"** عالميّا روايات الشتات الإفريقي التي اهتمّت بكتابات المغتربين الأفارقة مثل: روايات الكاتبة النيجيريّة **بوتشي إيميتشيتا(Buchi Emecheta)**، و الرّوائية البريطانية الحائزة على جائزة **نوبل** في الآداب عام 2007 **دوريس ليسنغ (Doris Lessing)**، والعديد من كتاب جزر الهند الغربية البريطانية الذين يعود نسبهم إلي عبيد أفارقة، ومنهم **سام سيلفون (Sam Selvon) وجورج لامنج (George Lamming)** و**ديفيد دابيدين (David Dabydeen)وكاريل فيليبس(Caryl Phillips)**

أمّا عربيّا فيمكن أن نعتبر رواية **مصابيح أورشليم"** للكاتب العراقي" **علي بدر**" الصادرة سنة 2006 نموذجا عن روايات المنفى لتناولها مسألة المنفى والشّتات التي عانى ولا يزال يعانى منها الشّعب الفلسطيني إلى يومنا هذا، حيث قدّم الرّوائي ضمن سرديّة ثقافيّة مضادّة رؤية ما بعد كولونيالية للقضيّة الفلسطينية.

تتناول الرّواية في بدايتها فصلا معنونا بـ: "تقرير أوّلي" يحكي فيه الكاتب حياة "أيمن مقدسي" الفلسطيني الأصل المنفي إلى العراق، والذي قرّر كتابة رواية عن القدس جعل بطلها المفكر "إدوارد سعيد"، لكنّه اختفي بعد أن ترك مخططات الرّواية عند صديقه الذي يقرر في الأخير كتابتها وإخراجها، يبدأ الفصل الثاني بصورة لـ "إدوارد سعيد "وهو برفقة "إيستر" و"يائيل" وهما بطلان في الرّوايات الكولونياليّة الإسرائيلية، حيث يقودانه للتجوال في المدينة التي تغيرت ملامحها، ويعرّفانه على معالمها ليقابل ذلك بدهشة شديدة لتغيّر الملامح العربية للقدس بفعل الاحتلال، ولكنّه حين يصل إلى منزله القديم تختفي المدينة الكولونيالية من عينيه وتظهر المدينة الحقيقية من تحت الطرس، ثم يفقد كل من"إيستر"و" يائيل" إيمانهما بوجود دولة **إسرائيل،** ويبدأ الصّراع في الرّواية بين أبطالها حيث يخون" يائيل" "ايستر" مع سائحة أمريكية وتتقرب هي بعدها من"إدوارد سعيد"، كل هذه الأحداث تقرّب "إدوارد سعيد" من مدينته، ويصل في النّهاية إلى صورة تامة عنها فتختفي المدينة الكولونيالية من أمامه.

وبالعودة إلى الرّوايات الجزائرية ما بعد الكولونياليّة نلاحظ ظهور نمط جديد من السرديات الثّقافيّة التي تجلّت في كتابات كلّ من **واسيني الأعرج"** "و"**عمارة لخوص**"و "**محمد بورحلة**" و"**بشير مفتي**" و"**ياسمينــة صالح**" و"**الحبيب السّايح**"، جاءت هذه النّصوص حافلة بالتّشكيلات الثّقافية والحضارية الجديدة المتبلورة مع بداية القرن الحالي والتي ارتبطت بظهور مفاهيم حياتية جديدة كمفهوم الهجنــة وقضــايا الغيرية والاختلاف الثقافي.

ويمكن أن نعتبر رواية" **شبح الكاليدوني" لمحمد مفتاح** الصادرة سنة 2014 نموذجا عن روايات المنفى، حيث تناولت الرّواية، ضمن خطاب سردي حافل بأشكال المقاومة الثقافيّة في الجزائر إبان الاستعمار، أحداث الماضي الكولونيالي في الجزائر من خلال سرد وقائع الثّورة التّحريرية ضد الاستعمار الفرنسي، وكشف السّتار عن الدّفاتر المنسيّة في التاريخ الجزائري من خلال تسليط الضوء على قضيّة المنفيين إلى" كاليدونيا" زمن الاستعمار

كلّ ذلك من خلال تقديم رؤية سرديّة متحرّرة من الخطاب الكولونيالي، ومنفتحة في الوقت نفسه على القضايا السياسيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة المعاصرة التي تعيشها الجزائر.

2.2.3 روايات الهجرة:

برز موضوع الهجرة في الرّواية ما بعد الكولونياليّة كقضيّة أساسيّة تناولت معاناة المهاجرين من عنصريّة الرجل الأبيض الغربي اتجاه شعوب المستعمرات، ويبرز ذلك عالميّا في روايات المهاجرين الأفارقة والآسيويين إلى القارة الأمريكية الشّمالية وبريطانيا، وقد اهتمت هذه النّصوص بمناقشة تجارب الهجرة والمواطنة العالمية ونذكر منها رواية:**"الحلوى المرة" لتيموثي مو (Mo Timothy)** ، ورواية **"في جلد أسد" "للكاتب الكندي مايكل أونداتجي (Michael Ondaatje)** وغيرها.

أمّا عربيّا وجزائريّا بالتّحديد، يمكن أن نعتبر رواية **" كاماراد رفيق الحيف والضّياع "** للرّوائي الجزائري **الصديق حاج أحمد** المدعو**"الزيواني"** الصّادرة سنة **2015** من بين النّصوص الرّوائية الجزائرية ما بعد الكولونيالية المعاصرة التي تناولت موضوع الهجرة وأزمة الهوية التي خلفها ذلك اللّقاء الثقافي والاجتماعي بين "الأنا" و"الآخر"، حيث تعدّ هذه الرّواية من النّصوص الرّوائية الجزائرية المعاصرة التي تناولت قضايا الرّاهن وانعكاسات الوجه السّلبي للحداثة على الإنسان المعاصر الذي أساء فهمها، فحملت له الكثير من الخيبات والأزمات والانكسارات التي دفعت به إلى الهروب نحو المجهول بحثا عن الفردوس المفقود في الغرب.

تدور أحداث الرّواية حول شخصية نيجيرية محورية، تدعى "مامادو"، تنطلق في رحلتها من عاصمة **النيجر نيامي**، نحو فردوس الشّمال، سالكة أصعب الظروف عبر الصّحراء الكبرى مع المهربين، للوصول إلى جنوب الجزائر، لتنتحل هوية شخصية أخرى "مالية".

يقوم البناء الفكري للرّواية على المزاوجة بين قضايا وهواجس الرّجل الإفريقي ذو البشرة السوداء وقضايا الهجرة غير الشّرعية في إفريقيا وتحوّلات المجتمع الصّحراوي وظاهرة "الحراقة" وتشظّي الذّات وأزمة الهوية وغيرها من الأزمات الوجودية والأنطولوجية. كل ذلك يجعل من هذا النّص الرّوائي نصا يحمل تيمات ثقافية تجعله مجالا خصبا للدّراسة الثقافية وكشف الثمثّلات الثّقافية.

4.خاتمة:

نخلص في نهاية دراستنا هذه التي أردنا من خلالها البحث في تجلّيات التكامل المعرفي بين السّرد الثّقافي والنقد الثّقافي على المستوى التنظيري المعرفي وعلى مستوى الممارسة النصّية التطبيقيّة الرّوائية إلى جملة من النتائج أهمّها:

1- إنّ السّرد هو ظاهرة ذات طبيعة كلّيّة تتجاوز الوقوف عند جماليّة الخطاب الأدبي، وتستدعي تقديم تصّور معرفي يدرج السّرد ضمن أنساق الّثقافة والمتخيّل والتّاريخ ويكشف ترابطاته الجدلية ببنيات القوة والرغبة، لذلك كان لا بدّ له من التّحرّر من كونه ذلك التمظهر الخارجي للخطاب لينفتح على الإحاطة بكلّ ما يكوّن الذّات من علوم ومعارف، وأشكال وصور وتمثّلات ثقافيّة، لا تستثني ما هو مهمّش، ولا تفرط في العناية بجماليّة الخطاب الأدبي دون مراعاة حمولاته الثّقافيّة.

2- السّرد الثّقافي هو نتيجة توأمة معرفيّة بين السّرد والنّقد الثّقافي عموما، وذلك بالانتقال من سؤال سياسات الهويّــة إلى سياسات الاختلاف أي فتح الباب أمام جملـة من المباحث والقضايا الثقافيّة التي يتشابك فيها السّرد مع تمثيلات السّلطة والقوّة والهيمنة والهويّة والآخر والعنف والجنوسة وغيرها...

3- يعدّ النّقد الثقافي البديل النّقدي الحاسم الذي ينبغي أن يعتمده النّقاد في كشف وتشريح الخطابات الثّقافية في النّصوص السّرديّة الثّقافية ما بعد الكولونياليّة، واستنطاق وتحليل الأنساق المعرفية والثّقافية المضمرة فيها.

4- من أهم القضايا الثّقافية المشتركة بين النّقد الثّقافي والسّرد الثّقافي تناول المواضيع التى أفرزها الواقع ما بعد الكولونيالي مثل: المنفى، الهجرة، هجنة الهويّات والتّعدّدية الثّقافية وقضايا المسكوت عنه والعرق والطبقة، وغيرها من المواضيع التي تبنّاها النّقد الثّقافي بعد أن التفت إلى الثّقافات الهامشيّة والفئات الشّعبيّة والأقلّيات الاجتماعيّة والدّينيّة والمذهبيّة والإثنيّة، وتجاوز كلّ ما هو مؤسّساتي متحكّم ومهيمن سلطويّا وفكريّا.

5- على مستوى الممارسة النّصيّة الرّوائيّة التطبيقية، تجّلى التّكامل المعرفي بين السّرد الثّقافي والنّقد الثّقافي في ظهور"السّرد المضاد" الذي يتبنّى أسلوب الردّ بالكتابة وإستراتيجيّة الخطاب النّقيضً كرد فعل على السّرد الكولونيالي الذي سعى إلى امتلاك سلطة الخطاب، وقد تمكّن الكتّاب بفضل هذه السّرديّات المضادّة من التّكلّم وإسماع أصواتهم، وسرد هويّاتهم واستعادة ذاكرتهم المسلوبة، والتّحرّر من الصّمت الذي فرضه السرد الكولونيالي على الشّعوب الخاضعة للاستعمار.

6- من التجلّيات النّصيّة التطبيقيّة أيضا للتكامل المعرفي بين السّرد الثّقافي والنقد الثّقافي على مستوى الخطاب السّردي ما بعد الكولونيالي ظهور الرواية ما بعد الكولونياليّة الحاملة لرؤية ثقافيّة مغايرة تجلّت من خلال المرجعيّات الثّقافية التي حفلت بها هذه النّصوص، ويمكن أن نجمل

أهمّ المواضيع التي تناولتها هذه النّصوص السّردية الثقافية ما بعد الكولونيالية الصّادرة عن الشّعوب التي تحرّرت من الاستعمار في القضايا الآتية: قضيّة المنفى والشّتات وقضيّة الهجرة وقضيّة هجنة الهويّات والتّعددية الثّقافية، وقضايا المسكوت عنه باختلافها، وكلّها قضايا أرادت من خلالها هذه السرديّات المضادّة إعادة الاعتبار لكلّ ما هو مهمّش والنّظر إليه باعتباره ظاهرة ثقافيّة مميّزة.

5 . قائمة المراجع.

1- إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، دار الآداب، ط1، بيروت- لبنان، 1997.
2- آنيا لومبا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، تر: محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار للنشر والتوزيع ، ط1، سوريا، 2007.
3- بول ريكور، الزمان والسّرد، تر: سعيد الغانمي و فلاح رحيم، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت – لبنان، 2006.
4- بيل أشكروفت وآخرون، الدّراسات ما بعد الكولونيالية، تر: أحمد الّروبي، أيمن حلمي، ط1، المركز القومي للتّرجمة، القاهرة – مصر، 2010.
5- حفناوي بعلي، الحداثة وما بعد الحداثة، ط1، دار دروب للنّشر والإعلان، عمان- الأردن، 2011.
6- حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، جمعية عمال المطابع، ط1، الأردن، 2007.
7- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي رؤية جديدة، مجلة فصول، ع59،القاهرة- مصر، 2002
8- عبد الله الغذامي، النّقد الثّقافي قراءة في الأنساق الثّقافيّة العربيّة، المركز الثّقافي العربي، ط1، الدار البيضاء- المغرب، 2001.
9- فاضل تامر، المقموع والمسكوت عنه في السّرد العربي، دار المدى للإعلام والثقافة والفنون، ط1، دمشق- سوريا، 2000.
10- محمد بو عزة، فلسفة السّرد -المنطلقات والمشاريع- ، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2014.
11- محمد بو عزة، سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، دار الأمان، ط1، الرباط – المغرب، 2014

6. هوامش البحث:

[1] - بول ريكور، الزمان والسّرد، تر: سعيد الغانمي و فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد، ط1، ،بيروت – لبنان، 2006، ص.20.
[2] - إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، دار الآداب، ط1، بيروت- لبنان، 1997، ص.16.
[3] - محمد بو عزة، سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، دار الأمان، ط1، الرباط – المغرب، ، 2014، ص. 40.
[4] - حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، جمعية عمال المطابع، ط1، الأردن، 2007، ص.65.
[5] - عبد الله الغذامي، النّقد الثّقافي قراءة في الأنساق الثّقافيّة العربيّة المركز الثّقافي العربي ، ط1، الدار البيضاء- المغرب، 2001، ص.41.
[6] - حفناوي بعلي، الحداثة وما بعد الحداثة، دار دروب للنّشر والإعلان، ط1، عمان- الأردن، 2011، ص.224.
[7] - آنيا لومبا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، تر: محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سوريا، ، 2007، ص. 178-179

[8] - إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ص.85.
[9] - آنيا لومبا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، ص.182.
[10] - عبد الله الغذامي، النقد الثقافي رؤية جديدة، مجلة فصول، ع59،القاهرة- مصر، 2002، ص.48.
[11] - المرجع نفسه، ص.49.
[12] - المرجع نفسه، ص.50.
[13] - المرجع نفسه، ص.76.
[14] - فاضل تامر، المقموع والمسكوت عنه في السّرد العربي، دار المدى للإعلام والثقافة والفنون، ط1، دمشق- سوريا، 2000، ص.91.
[15] - إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ص.120.
[16]- بيل أشكروفت وآخرون، الدّراسات ما بعد الكولونيالية، تر: أحمد الّروبي، أيمن حلمي، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة – مصر، 2010. ص.178.
[17] - محمد بو عزة، فلسفة السّرد -المنطلقات والمشاريع- ، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2014 ، ص. 23.